دار القاسم

حُسن الخُلق

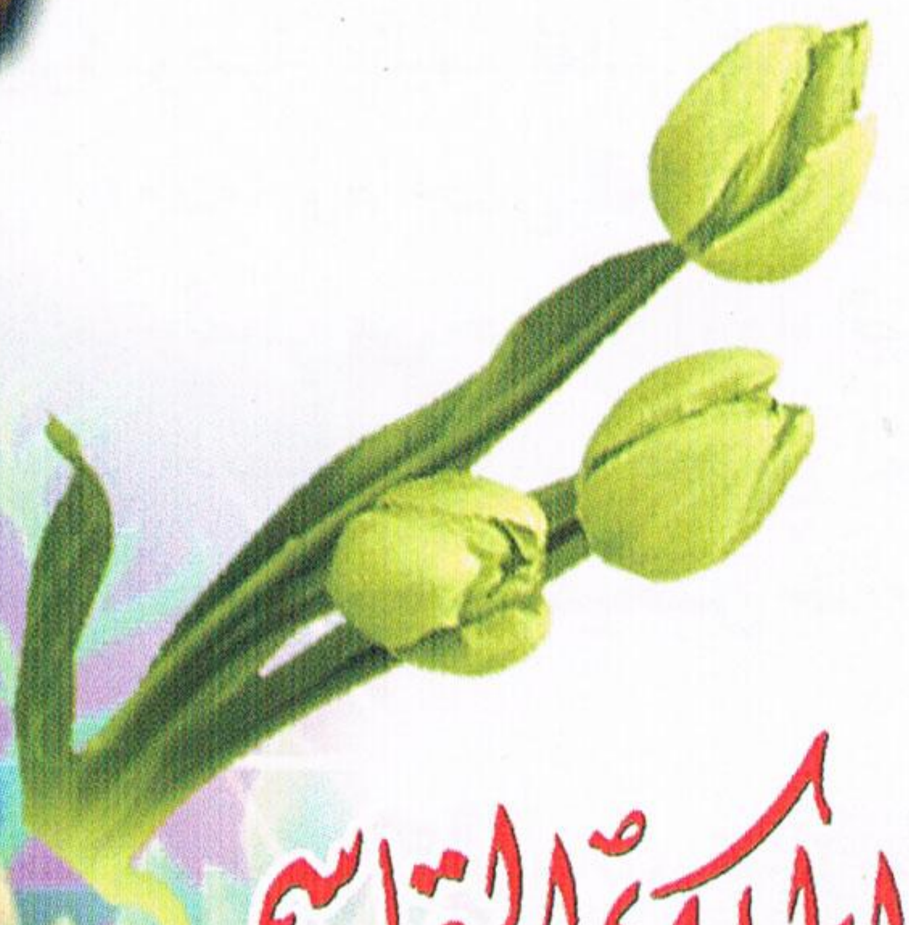

عبد الملك القاسم

المملكة العربية السعودية - الرياض طريق الملك فهد بين شارعي التلفزيون والخزان
ص . ب ٦٣٧٣ الرياض : ١١٤٤٢ ت : ٤٠٩٢٠٠٠ ف : ٤٠٣٣١٥٠ فرع جدة ت : ٦٠٢٠٠٠٠ ف : ٦٣٣٣١٩١
موقعنا على الانترنت www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبينا محمد ﷺ فأحسن تأديبه، وبعد:

فإن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات. وقد خص الله جل وعلا نبيه محمداً ﷺ بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب فقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

وحُسن الخلق يوجب التحاب والتآلف، وسوء الخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتدابر.

وقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق، والتمسك به، وجمع بين التقوى وحسن الخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى الله وحسن الخلق**» [رواه الترمذي والحاكم].

وحُسن الخُلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، هذا مع ما يلازم المسلم من كلام حسن، ومدارة للغضب، واحتمال الأذى.

وأوصى النبي ﷺ أبا هريرة بوصية عظيمة فقال: «**يا أبا هريرة! عليك بحسن الخلق**». قال أبوهريرة رضي الله عنه: وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال: «**تصل مَنْ قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتُعطي من حرمك**» [رواه البيهقي].

وتأمل ـ أخي الكريم ـ الأثر العظيم والثواب الجزيل لهذه المنقبة المحمودة والخصلة الطيبة، فقد قال ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» [رواه أحمد].

وعدَّ النبي ﷺ حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**» [رواه أحمد وأبوداود].

وعليك بقول رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهراً**» [رواه الطبراني].

والمسلم مأمور بالكلمة الهيِّنة الليِّنة لتكون في ميزان حسناته، قال عليه الصلاة والسلام: «**والكلمة الطيبة صدقة**» [متفق عليه].

بل وحتى التبسم الذي لا يكلف المسلم شيئاً، له بذلك أجر: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**» [رواه الترمذي].

والتوجيهات النبوية في الحث على حسن الخلق واحتمال الأذى كثيرة معروفة، وسيرته ﷺ نموذج يُحتذى به في الخلق مع نفسه، ومع زوجاته، ومع جيرانه، ومع ضعفاء المسلمين، ومع جهلتهم، بل وحتى مع الكافر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ اعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾.

وقد جُمِعتْ **علامات حسن الخلق** في صفات عدة، فاعرفها ـ أخي المسلم ـ وتمسَّك بها. وهي إجمالاً: أن يكون الإنسان كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً وصولاً، وقوراً، صبوراً، شكوراً، راضياً، حليماً، رفيقاً، عفيفاً، شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً، ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يحب في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله.

أصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر والمهانة والدناءة، **وأصل الأخلاق المحمودة** كلها الخشوع وعلو الهمة. فالفخر والبطر والأَشَر والعجب والحسد والبغي والخيلاء، والظلم والقسوة والتجبر، والإعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار، وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة، وأن يُحمد بما لم يفعل وأمثال ذلك، كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والفزع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ونحو ذلك، فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وإذا بحثتَ عن التقي وجدتَهُ
رجلاً يُصدِّق قولَهُ بفعالِ

وإذا اتقـــــى الله امـــــرؤٌ وأطـــاعـــه

فيـــــداه بيـــــن مكـــــارمٍ ومعـــــالِ

وعلـــى التُّقـــي إذا تـــراســـخ فـــي التقـــى

تـــاجـــان: تـــاجُ سكينـــةٍ وجمـــالِ

وإذا تنـــاسبـــتِ الـــرجـــالُ فمـــا أرى

نسبـــاً يكـــون كصـــالـــحِ الأعمـــالِ

أخـــي المســـلم:

إنها مناسبة كريمة أن تحتسب أجر التحلي بالصفات الحسنة، وتقود نفسك إلى الأخذ بها وتجاهد في ذلك، واحذر أن تدعها على الحقد والكراهة، وبذاءة اللسان، وعدم العدل والغيبة والنميمة والشح وقطع الأرحام. وعجبت لمن يغسل وجهه خمس مرات في اليوم مجيباً داعي الله، ولا يغسل قلبه مرة في السنة ليزيل ما علق به من أدران الدنيا، وسواد القلب، ومنكر الأخلاق!

واحرص على تعويد النفس كتم الغضب، وليهنأ من حولك مِن: والدين، وزوجة وأبناء، وأصدقاء، ومعارف، بطيب معشرك، وحلو حديثك، وبشاشة وجهك، واحتسب الأجر في كل ذلك.

وعليك ـ أخي المسلم ـ بوصية النبي ﷺ الجامعة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بُخلق حسن**» [رواه الترمذي].

جعلنا الله وإياكم ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «**إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً**» [رواه أحمد والترمذي وابن حبان].

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة، اللهم حسِّن أخلاقنا وجَمِّل أفعالنا، اللهم كما حسَّنت خُلقنا فحسن بمنِّك أخلاقنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من كتاب: ٤٠ درساً لمن أدرك رمضان